الخاتمة

تذكِرة ... ومعذِرة

أما التذكرة فهى للمؤمنين والمؤمنات ، والتائبين والتائبات :

قال الله تعالى : ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾[1] ، وقال رسول الله ﷺ : « إن الدين النصيحة » الحديث[2] ، وقال ﷺ فى صفة المؤمن : « إن المؤمن خُلِق مُفَتَّناً ، تَوَّابًا نسِيًّا ، إذا ذُكِّرَ ذَكَرَ »[3] .

فياأيتها الأخت المسلمة :

تدبرى قول الله تعالى :

﴿ ألم يَأْنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾[4] فهلا كان جوابكِ : « بلى آن يارب » ؟ وهلا تدبرت قول رسول الله ﷺ : « نَحِّ الأذى عن طريق المسلمين »[5] ؟ فإذا كانت إماطة الأذى عن الطريق من شُعَبِ الإيمان التى أمر بها رسول الله ﷺ ؛ فأيهما أشد

---

(١) (الذاريات : ٥) .

(٢) رواه من حديث تميم الدارى رضى الله عنه مسلم رقم (٥٥) فى الإيمان : باب بيان أن الدين النصيحة ، وأبو داود رقم (٤٩٤٤) فى الأدب : باب فى النصيحة ، والنسائى (١٥٦/٧) فى البيعة : باب النصيحة للإمام .

(٣) رواه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما الطبرانى فى « الكبير » و« الأوسط » ، وقال الهيثمى : (أحد إسناد الكبير رجاله ثقات) اهـ ، من « فيض القدير » (٤٩١/٥) ، وانظر : « صحيح الجامع الصغير » (١٧٢/٥) .

(٤) (الحديد : ١٦) .

(٥) رواه من حديث أبى برزة رضى الله عنه أبو يعلى فى « مسنده » ، وابن حبان فى « صحيحه » ، كما فى « الجامع الصغير » ، وزاد الألبانى عزوه إلى ابن أبى شيبة ، والضياء – انظر : « صحيح الجامع » (٢٥/٦) .

أذى : شوكة أو حجر فى الطريق ، أم فتنة تفسد القلوب ، وتعصف بالعقول ، وتشيع الفاحشة ؟

إنه مامن شاب مسلم يبتلى منكِ اليوم بفتنة تصرفه عن ذكر الله ، وتصده عن صراطه المستقيم - كان بُوسعكِ أن تجعليه فى مأمنٍ منها - إلا أعقبك منها غداً نكال من الله عظيم .

ياغافــــلاً يتمـــادَى غــداً عليــكَ يُنادَى
هذا الــذى لم يُقَــدِّمْ قبــل الترحُّــل زادا
هذا الــذى وعظـــوه وخَوَّفــوه المعـــادا
فلــم يكــن لمنادِيــه طائِعـــاً منقـــادا[1]

بادرى إلى طاعة ربك عز وجل ، ودعى عنكِ انتقادَ الناس ولومَهم ، فإن حساب الله غداً أشد وأعظم :

أيها اللائــمُ دعنـــى لستُ أُصْغِــى للمــلام
إننـــى أطــلب مُلكــاً نيلُــــه صَعْبُ المرام
فى جِنانِ الخُلْدِ فى الفِرْ دَوْسِ فى دارِ السلام

ترفعى عن طلب مرضاتهم ومداهنتهم ، فإن التسامى إلى مرضاة الله أسعد لك وأسلم ، عن عروة بن الزبير رضى الله عنهما مرفوعاً : « من التمس رضا الله بسخط الناس ، رضى الله عنه ، وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله ، سخط الله عليه ، وأسخط عليه الناس »[2] .

وإن كنتِ حقًّا قد رضيتِ بالله ربًّا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولاً ، وبزوجاته وبناته ونساء المؤمنين أسوة وقدوة :

فسارعى إلى التوبة ، ولا تُسَوِّفى ،

بل قولى كما قال موسى عليه السلام :

﴿ وعجلت إليك رَبِّ لترضى ﴾[3]

(١) « غالية المواعظ » لأبى البركات نعمان الألوسى (٢/٦٥) .

(٢) انظر « تحقيق شرح الطحاوية » هامش ص (٢٣٥) .

(٣) (طه : ٨٤) .

وقولي كما قال المؤمنون من قبل :
﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾[1] .

* * *

وأما المعذرة :

فهي إلى ربنا عز وجل ، من :
– هؤلاء المعرضين الذين سيقولون بلسان حالهم : ﴿ سواء علينا أوعظتَ أم لم تكن من الواعظين ﴾[2] .
– وهؤلاء المغرضين المضلين الذين تمردوا على أهل العلم ، وشذوا عن المألوف ، وأمروا بالمنكر ، ونَهَوْا عن المعروف .

أعنى أصحاب العقلية الورقية التافهة الذين يَتَوَلَّوْنَ اليوم البحث فى قضايا المرأة والحجاب ، ويقومون بصياغة الشعارات الاجتماعية التى تتمخض كل يوم عن بلية لا لَعاً لها[3] ، وفتنة – وقى الله شرها – ممثلة في تلك الفتاوى المضجعة ، المحلولة العقال ، المبنية على التجرى ، لا التحرى ، المؤسسة على الظن ، وهو أكذب الحديث ، أو الهوى ، وهو معبود باطل خبيث ، يصدرها قوم لا خلاق لهم من الصحافيين ، ومن أسموهم المفكرين ، تعج منهم الحقوق إلى الله عجيجاً ، وتضج منهم الأحكام إلى من أنزلها ضجيجاً ، يُنَفِّرون من النقاب لا لأن البحث العلمى أدّاهم إلى أنه مكروه أو محرم أو بدعة كما يرجفون ، ولكن لأنه يشمئز منه مقلّدوهم من كفار الشرق والغرب .

فاللهم باعد بين نسائنا وبناتنا وأخواتنا وبينهم كما باعدت بين المشرق والمغرب .
ويا أيها الناظر فيه ، الواقف على معانيه :
إنْ تجدْ عيبًا فَسُدَّ الخَلَلَا   فجلَّ من لا عيب فيه وعلَا

* * *

(١) (البقرة : ٢٨٥) .
(٢) من سورة الشعراء : الآية (١٣٦) .
(٣) لعا – كعصى – كلمة يراد منها الانتعاش من العثرة ، يقال في الدعاء للعاثر : لعاً له ، وفي الدعاء عليه : لا لعاً له .

فما كان فيه من حق وصواب فمن الله، هو المانُّ به ، فإن التوفيق بيده ، وما كان فيه من زلل فمنى ومن الشيطان ، والله ورسوله منه براء .

ولله دَرُّ الإمام ابن القيم - رحمه الله - حيث قال : (فلك أيها القارىء صفوُهُ ، ولمؤلفه كدرُهُ ، وهو الذى تجشَّم غراسه وَتَعَبَهُ ، ولك ثَمَره ، وهاهو قد استهدف لسهام الراشقين ، واستعذر إلى الله من الزلل والخطأ ، ثم إلى عباده المؤمنين)[1] .

* * *

وهذا آخر ما قصدت جمعه وترتيبه ، وإنى أبتهل إلى الله تعالى بأُكف الضراعة ، وأتوسل إليه بِحُبِّهِ نَبِيَّهُ محمداً ﷺ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وسبباً للفوز بالرضى والقبول والتكريم ، وأن يجعله لنفع عباده الصالحين موقوفاً ، وعن أهل التحذلق والتنطع مصوناً مصروفاً ، وأن يرحمنى ووالدىَّ وسائر المسلمين ، إنه أرحم الراحمين ، وأكرم الأكرمين :

قَرُبَ الرَّحِيلُ إلى دِيارِ الآخِره ... فَاجْعَلْ إلهى خَيْرَ عُمرِى آخِرَهْ
فلئن رَحِمْتَ فأنت أكرمُ رَاحِمٍ ... وَبِحارُ جُودِك ياإلهى زاخِرَه
آنِسْ مبيتى فى القبورِ وَوِحْدَتى ... وَارْحَم عِظامى حين تبقى ناخِرَه
فأنا المُسَيْكِينُ الذى أيَّامُهُ ... وَلَّتْ بِأَوْزارٍ غَدَتْ مُتَواتِرَه
وَتَوَلَّهُ باللُّطْفِ عِنْدَ مَآلِهِ ... يامَالِكَ الدُّنيا وَرَبَّ الآخِرَه[2]

وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) «مفتاح دار السعادة» ص (٦٧) ط . الشيخ زكريا علي يوسف رحمه الله .

(٢) وهذا الشعر مما يعزى إلى الإمام الشافعي رحمه الله .